

المنهج التفسيري

الدكتور: صالح داسي

أستاذ محاضر بالمعهد الأعلى للحضارة الإسلامية

كان القرآن ولا يزال هو معين الحضارة الإسلامية ونبعها الذي لا ينضب ولا يبلى، وهذا ما دعا علماء الأمة الإسلامية في مختلف العهود يستلهمون منه مسلكهم المعرفي في إدراك السبيل. وخاصة علماء التفسير، فكانوا على تفاوت ثقافتهم وتباين منازلهم يدركون منه افاءات الله عليهم ولطائف من لدنه، فعز عليهم استيفاء تلك الدراسات لذاتهم، فراحوا ينثرون السبيل لمن لم يدرك ما أدركوا، ويوضحون المذاق التفسيري عليهم بذلك يمهدون الصراط لمن لم يبلغ شأوهم، ويقربون الوسائل لمن عز عليه ادراك المقصد.

والعمل التفسيري، او التجربة التفسيرية تقتضي وسائل معرفية وخصائص ذاتية ومنهجاً واضح الدلالة، ومعاناة مباشرة ازاء الآيات القرآنية، وهدفا يلوح للمفسر، فيشده ذلك لمعايشة القرآن وكتب السلف حتى يبرز لنا من كنوز القرآن ما استتر عن غيره.

1 - الوسائل المعرفية التي ينبغي توفرها لدى المفسر

ذكر جلال الدين السيوطي في الاتقان ما ينبغي توفره لدى المفسر من معارف وعلوم بدونها لا يمكنه الخوض في غمار العمل التفسيري وهي خمسة عشر علماً، بها يكون جامعاً للعلوم التي تيسر ادراك معاني الآيات القرآنية.

أحدها اللغة، الثاني النحو، الثالث التصريف، الرابع، علم الاشتقاق، الخامس والسادس والسابع المعاني والبيان والبديع الثامن علم القراءات، التاسع أصول الدين، العاشر أصول الفقه الحادي عشر أسباب النزول والثاني عشر الناسخ والمنسوخ الثالث عشر الفقه، الرابع عشر الاحاديث المبينة لتفسير المجلد والمبهم، الخامس عشر علم الموهبة(1).

هذه العلوم التي ذكرهما جلال الدين السيوطي هي ما يمكن تسميتها بالأدوات المعرفية، أو الوسائل التي تساعد المفسر على ادراك مقاصد الاي القرآني.

ولست ادري لماذا جعل جلال الدين السيوطي علم الاحاديث المبينة لتفسير المجلد والمبهم في الترتيب الرابع عشر، قبل الأخير في حين انه كان بالامكان وضعها في الدرجة الأولى قبل اللغة لأن المفسر الأول للقرآن الكريم هو الرسول ﷺ بصريح قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: 44 أم انه اتبع ذكر عدد العلوم دون تخير لأولها على آخرها؟ قد يكون ذلك ما دام لم يقدّم دليل يناقض ما ذهب اليه. أما الامام محمد الطاهر ابن عاشور فأشار في المقدمة الثانية من كتابه التحرير والتنوير الى العلوم التي يسبق وجودها لدى المفسرين «لتكون لهم عوناً على اتقان ذلك العلم» فاستمداد علم التفسير للمفسّر العربي والمولّد من المجموع المنتشر من علم العربية وعلم الآثار، ومن أخبار العرب، وأصول الفقه، قيل وعلم الكلام وعلم القراءات(2). فقد اقتصر على ستة علوم ينبغي توفّرها لدى المفسّر إلا أنه قدّم الجانب اللغوي على علم أصول الفقه كما جعل علم الكلام وعلم القراءات في المرتبة قبل الأخيرة مستعملاً قيل، أما علم الحديث فلم يشر اليه. وهذا يدل على المنحى التفسيري الذي انتهجه في كتاب التحرير والتنوير حيث اعتمد في المقام الأول على الدلالة اللغوية والاستدلال بأخبار العرب لبيان الكلام الالهي فكثيراً ما يعتمد على السكاكي والزجاج

(1) جلال الدين السيوطي: الاتقان 2/180-181.

(2) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك 18/1

وعبد القاهر الجرجاني وعلى الراغب الاصفهاني وعلى الزمخشري صاحب الكشف وقد أشار من قبل جعفر بن جرير الطبري في كتابه «جامع البيان في تفسير القرآن» الى ضرورة حذق اللغة وادراك مضامينها حتى يتيسر ادراك مقاصد الآيات القرآنية حيث يقول: «... فكذا ما في آيات كتاب الله من العبر والحكم والامثال والمواعظ، لا يجوز ان يقال اعتبر بها الا لمن كان بمعاني بيانه عالما وبكلام العرب عارفا (3).

وهذا الاختلاف في المواد التي ينبغي توفرها لدى المفسرين يعود الى مناحي المفسرين فهناك من يفسر بالنقل وهناك من يفسر باللسان العربي وهو ما أشار اليه العلامة عبد الرحمان بن خلدون في المقدمة بقوله «وصار التفسير على صنفين: تفسير نقلي مستند الى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين ... والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب» (4) الا ان الصنف الثاني الذي أشار إليه ابن خلدون واعتمده محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير وأشار اليه (5) لا يمكن ان ينفرد أو يستقل عن الصنف الأول، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: «ان هذا الصنف من التفسير قل ان ينفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات» (6) وهناك دراسة متأخرة للدكتور محمد الدسوقي بعنوان «منهج في تفسير القرآن» جمع فيه خصائص الصنفين اللذين ذكرهما من قبل عالم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون فذكر أصولا للتفسير لا اختلاف فيها ولا جدال بين مختلف المفسرين، وهي في نظره ثلاثة أصول: أولها: النص القرآني في موضوع آخر وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضا فاحكامه وادابه قد توزعت في الآيات والسور وما أجمل في مكان قد بسط في موضع آخر غالبا.

ثانيها: التفسير النبوي للقرآن باعتبار التفسير الأول للقرآن فكانت السنة شارحة للكتاب فصلت أصوله وقواعده، ووضّحت مبادئه ومقاصده،

(3) ابن جرير الطبري: جامع البيان 28/1

(4) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة 788

(5) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير المقدمة الثانية ج 1 ك 18/1

(6) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة 788

ويدخل في هذا الاصل ما يعزى الى الصحابة من أقوال.
ثالثها: التفسير اللغوي، وقد حدد الدكتور محمد الدسوقي الاصل الثالث
هذا بضوابط أساسية ثلاثة:

أولاً: أن تفسر الالفاظ تفسيراً يلتقي مع معانيها وفقاً للمعجم اللغوي
للعربية وقت النزول، مع مراعاة الدلالة القرآنية للكلمة باستقراء مواضعها
في الكتاب كله، وتدبر سياقها في الآية والسورة.

ثانياً: الالتزام بقواعد تفسير النصوص المتفق عليها كاحكام العموم
والخصوص والاطلاق والتقييد والمنطوق والمفهوم... الخ

ثالثاً: تقديم المعنى الحقيقي على المعنى المجازي بحيث لا يصار الى هذا
المعنى الا اذا تعذرت الحقيقة (7) وهذه الضوابط الثلاثة المتعلقة بالأصل
الثالث التفسير اللغوي تجعل المفسر بعيداً عن تفسير القرآن بمجرد اللغة
وانما أخذاً بمراعاة اللغة وقت النزول واللغة مع الدلالة القرآنية باعتبار ان
اللغة العربية خادمة للقرآن وأخذة منه وقد أشار الى هذا محمد الفاضل ابن
عاشور في كتابه «التفسير ورجاله» بقوله: فالقرآن العظيم عندنا معاصر
المسلمين كلام دال على معانيه دلالة مأخوذة بالطريق الواضح العادي لدلالة
الكلام العربي وليس هو على ذلك بمحتاج الى التفسير احتياجاً أصلياً، ولكن
حاجة القرآن الى التفسير انما هي حاجة عارضة نشأت من سببين:

السبب الأول: هو ان القرآن لم ينزل دفعة واحدة وانما كان نزوله
وتبليغه في ظرف زمني متسع جداً.

السبب الثاني: هو ان دلالات القرآن الأصلية التي هي واضحة بوضوح
ما يقتضيه من الالفاظ والتراكيب تتبعها معان تكون دلالة التركيب عليها
محل اجمال، او محل ابهام» (8)

فأشار محمد الفاضل ابن عاشور بالسبب الى معرفة سبب النزول وهو
من متعلقات الجانب التفسيري النقلي وأشار بالسبب الثاني الى متعلقات
الجانب اللغوي الذي لا يمكن اعتماده دون الأخذ بعين الاعتبار للجانب
الأول وهو ما أكد عليه بقوله «فمن هذه الجهة أصبحت لفهم القرآن حاجة

(7) مجلة الوعي الاسلامي: ع 240 ذو الحجة 1404 هـ - 24 - 26 انظر أيضاً الزرقاني مناهل
العرفان ج 1 / 502

(8) محمد الفاضل ابن عاشور: التفسير ورجاله 18 - 21. انظر: جلال الدين السيوطي: الاتقان

الى علوم أثرية نقلية هي من علوم الرواية لا من علوم الدراية» (9). فالذي يتحتم توفره لدى المفسر لكلام الله تعالى هو الجمع بين الصنفين حتى لا يكون المفسر من أهل الرواية دون الدراية ولا من أهل الدراية دون الرواية وانما من أهل الرواية والدراية معا. وللتمكن من تحقق ذلك لا بد من اعتبار الخطوات التالية:

أولا: قراءة القرآن في خلوة بعيدا عن هموم الدنيا وشواغل الحياة مع تدبر لكلام الله امتثالاً لقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (القمر: 40)

ثانيا: الاحاطة والالمام بقصص القرآن مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: 111)

ثالثا: الالمام بأسباب النزول

رابعا: العلم بالناسخ والمنسوخ

خامسا: الاحاطة بدقائق اللغة العربية وغريب الالفاظ واسرار البلاغة (10) هذه الاحاطة والتمكن في التفسير لا يتحقق المراد المرتقب منها الا بتوفير الخصائص الذاتية للمفسر ذاته.

II - الخصائص الذاتية للمفسر

كل علم من العلوم يقتضي تأهيلا معيناً من المتخصص به يستطيع ادراك ابعاد ذلك اللون من العلوم بمقدار أدنى من التجرد حتى لا يكون الدارس من الذين يكتبون لانفسهم، أو يعبرون لخاصة انفسهم وانما يمنحون في سبيل ما أرادوا العمل لاجله، فتأتي عباراتهم أوفق ودلالة مقاصدهم أبعد مدى.

وللمفسر خصائص ذاتية غير وراثية وانما هي اكتسابية إذا توفرت لديه ساعدته على معالجة علم التفسير منها.

(1) أن يكون بعيدا عن الأهواء الفكرية فالمفسر لكتاب الله عليه أن يكون

(9) المرجع السابق: 21

(10) مجلة منار الاسلام ع 10 شعبان 1405 مايو 1985 3 - 6

موضوعيا لا يخضع لتصورات ومفاهيم خاصة (11)
(2) أن يكون ملما بمختلف العلوم الكثيرة التي اشتراطها العلماء للتفسير،
مضافا اليها علم التاريخ وعلم الديانات المقارنة وعلم الانسان
والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاقتصاد والسياسة
والقانون والعقاب والاحصاء وكل العلوم التي استحدثت فيما بعد (12) أي
بعد جلال الدين السيوطي الذي حصر العلوم التي ينبغي توفرها لدى
المفسر في خمسة عشر علما (13) قال أحمد أمين: «فيظهر ان التفسير كان في
كل عصر من العصور متأثرا بالحركة العلمية فيه من ابن عباس الى الشيخ
محمد عبده» (14).

(3) ان يكون المفسر قادرا على الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفي هذا
الصدد يقول الدكتور محمد الدسوقي: فلكل زمان لغته ومشكلاته وقد
أمرنا بمخاطبة الناس بالتي هي أحسن وعلى قدر عقولهم وبذلك يكون
المفسر قادرا على تجاوز البحث الحرفي الجامد الى الفهم الدقيق السواعي
لأهداف القرآن ومشكلات الحياة الواقعية» (15)

(4) ان يتجنب التكلف في ربط الآيات والسور بعضها ببعض (16) وقد
تعرض إلى مسألة تناسب السور جلال الدين السيوطي في كتابه «تناسق
الدرر في تناسب السور فذكر فيه اوجه الترابط بين السور باعتبارها مرتبة
ترتيباً توقيفياً من الرسول ﷺ وبوحي من الله سبحانه وتعالى (17)
(5) ان يتجنب الزيادة عن المراد. قال الشاطبي: «ان علم التفسير مطلوب
فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فان كان المراد معلوما فالزيادة
على ذلك تكلف» (18)

(6) أن يعيش المفسر القرآن سلوكاً عملياً واعتقاداً خرج من القلب إلى
الحياة فينبثق التفسير على يدي المفسر «روحاً تبعث في الحياة الحركة

(11) مجلة الوعي الاسلامي ع 233 جمادى الأولى 1404: 15

(12) د. أحمد علي المجذوب: مجلة الوعي الإسلامي ع 245 1405-14-15.

(13) جلال الدين السيوطي: الانتقان في علوم القرآن 2/ 180-181

(14) أحمد أمين: فجر الاسلام 206

(15) د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي بحث بعنوان منهج في تفسير القرآن: 240

(16) مجلة الاسلام 25 شوال 1355: 4.3

(17) جلال الدين السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور تح. عبد الله محمد الدرويش

(18) أبو اسحاق الشاطبي: الموافقات 1/ 53

الدافعة لطاعة الله والاستمساك بدينه والدعوة اليه، فليس التفسير ترفاً عقلياً، أو متعة ذهنية» (19)

7) القدرة على الانتفاع بأقوال العلماء والاستفادة منها في مختلف فروع الدراسات والعلوم باعتبار كونها» وجهات نظر ينتفع بها المفسر في حدود الأصول التفسيرية دون أن ينسى أن القرآن هو الأصل والمرجع الأول؛ فإذا ما تحققت هذه الخصائص في المفسر ابتعد عن ثلاثة أخطار تفسيرية وهي:

1 - الابتعاد عن الهوى المذهبي المشوب بالترف الفكري

2 - الابتعاد عن الوقوف أمام ما تركه القدماء فلم يكن من أهل الرواية فقط.

3 - الابتعاد عن الانبئات حتى لا يكون المفسر من الذين قطعوا صلة المعارف الحاضرة بالماضية فالمطلوب من المفسر أن يكون آخذاً بالأصالة، والمعاصرة مراعيًا في الآن نفسه نفسية العصر وقدرة المخاطبين وكأني بناصر الدين البيضاوي في كتابه «أنوار التنزيل» قد استشعر خطورة العمل التفسيري وثقل وزره وذلك بقوله: «... لا يليق لتعاطيه - أي لعلم التفسير - والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها» (20) وقد تفتنت لجسامة العمل لجنة تفسير القرآن الكريم المنبثقة عن إدارة الجامع الأزهر فوضعت قواعد للعمل في التفسير كما دعت إلى تكوين لجنة للتفسير، أي التفسير الجماعي.

III المنهج التفسيري

اختلفت مناهج المفسرين تبعاً لاختلاف ما عندهم من معلومات ومعارف فمنهم من توسع في الوقوف على آيات الأحكام لتوسع معارفه في الناحية الفقهية، ومنهم من كان متضلعا في علوم اللغة فطغى عليه في تفسيره اللون اللغوي، ومنهم من كان له توسع في الجانب الأخلاقي (21) فتمعق في ذلك

(19) د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الإسلامي: ع 19/233

(20) ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/1

(21) د. منيع عبد الحليم محمود: مناهج المفسرين

أكثر من الجوانب الأخرى وهذا ما دفع بلجنة تفسير القرآن الكريم الى تقديم تقدير الى شيخ الازهر يضبط قواعد العمل في التفسير تحت عنوان «قواعد العمل في التفسير». يمكن ذكر ما جاء في التقرير في القواعد التالية:

1 - ان يكون التفسير خاليا ما امكن من المصطلحات والمباحث العلمية الا ما استدعاه فهم الآية.

2 - الا يتعرض فيه للنظريات العلمية ولا لآراء الفلكيين في السماء والنجوم. قال الدكتور أحمد علي المجدوب. في هذه المسألة فيما نقله عن عالم فاضل من علماء الأزهر: «ومما يؤسف له حقا ما يصادف المسلم في كتب التفسير من أقوال كثيرة تخالف حقائق العلم وسنن الله الكونية، ومؤلفها هم من علماء الاسلام بل ومن كبارهم فهي صورة للإسلام ولتفكير المسلمين» (22)

3 - إذا امتدت الحاجة الى التوسع في تحقيق بعض المسائل وضعتة اللجنة في حاشية التفسير.

4 - الا تخضع اللجنة الا لما تدل عليه الآية الكريمة فلا تتقيد بمذهب معين من المذاهب الفقهية ولا مذهب معين من المذاهب الكلامية وغيرها ولا تعسف في تأويل آيات المعجزات وأمور الآخرة.

5 - ان يفسر القرآن بقراءة حفص ولا يتعرض لتفسير قراءات أخرى الا عند الحاجة إليها.

6 - أن يتجنب التكلف في ربط الآيات والسور بعضها ببعض. وقد أشرت الى هذه الخاصية ضمن حديثي على الخصائص الذاتية للمفسلا وقد حسم القول فيها جلال الدين السيوطي في كتابه «تناسق الدرر في تناسب السور» فلم يعد هناك مجال للتحوط أو التخوف من هذه المسألة.

7 - ان يذكر من أسباب النزول ما صح بعد البحث واعان على فهم الآية. 8 - عند التفسير تذكر الآية كاملة أو الآيات ان كانت كلها مرتبطة بموضوع واحد ثم تحرر معاني الكلمات في دقة ثم تفسر معاني الآيات في عبارة واضحة.

9 - الا يصار الى النسخ الا عند تعذر الجمع بين الآيات.

(22) د. أحمد علي المجدوب: مجلة الوعي الاسلامي 245 جمادى الأولى 1405/4

10 - يوضع في أول السورة ما توصلت اليه اللجنة في بحثها في السورة امكية هي أم مدنية؟ وما ذكر في السورة المكية من آيات مدنية والعكس.
11 - توضع للتفسير مقدمة في التعريف بالقرآن وبيان مسلكه في كل فن من فنونه، كالدعوة الى الله، وكالتشريع والقصص والجدل ونحو ذلك كما يذكر فيه منهج اللجنة في تفسيرها (23).

هذه المقترحات التي قدمتها اللجنة بامضاء أمين الخولي لا تخلو من التوقف ازاء البعض منها، خاصة ما جاء متعلقا بالخاصية الأولى والثانية والرابعة والثامنة.

أما ما جاء متعلقا بالخاصية الأولى والتي مفادها «خلو التفسير من المصطلحات والمباحث العلمية» فهذا محل نقاش لأن العلم له مصطلحاته وما دام قد استخدم زمن نزول القرآن المصطلحات الفنية الأدبية للتفسير فلا مانع اليوم من استخدام المصطلحات العلمية خاصة إذا كان التفسير جماعيا ومنبثقا عن لجنة تضم مختلف العلماء باختلاف معارفهم ومصطلحاتهم المهم ان تكون تلك المصطلحات عربية لا دخيلة، كما لا ينبغي أن يغلب الدخيل على العرب وقد أشار الى هذه الظاهرة من قبل ابن جرير الطبري في كتابه «جامع البيان في تفسير القرآن» ذكر ذلك في معرض بيانه لمسألة الأحرف التي اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها من الاجناس حيث يقول: رأيت من قال لارض سهلة جبلية هي سهلة ولم يذكر ان تكون جبلية، أو قال هي جبلية ولم يدفع ان تكون سهلة أناف عنها أن تكون لها الصفة الأخرى بقله ذلك. (24) وفي هذه المسالك يقول الامام محمد الطاهر ابن عاشور. وان بعض مسائل العلوم قد يكون أشد تعلقا بتفسير القرآن. (25)

أما ما جاء متعلقا بالخاصية الثانية التي مفادها (عدم التعرض للنظريات العلمية ولآراء الفلكيين) فهذا ينفيه ما تقدم ذكره من متعلقات الخاصية الأولى لأنه إذا ثبت اعتبار خصائص العلوم مما تختص به من مصطلحات علمية تأكد اعتبارها والقول بما ثبت علميا فيها الا انه لا تعتبر نتائج العلوم نتائج نهائية مصداقا لقوله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

23 مجلة الاسلام: الجمعة 25 شوال 1355 هـ / 42 - 43

24 ابن جرير الطبري: جامع البيان 9/1

25 الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك 43/1

(الاسراء: 85) فإن كانت نهائية لدى العلماء فليست نهائية على المدلول القرآني لأن من خصائص القرآن الخلود واستمرار الصلوحية لكل زمان ومكان.

أما ما جاء متعلقا بالخاصية الرابعة، فهي محل نقاش وذلك من ناحيتين: الأولى: ان كتب التفسير من بدايتها الى الآن لا تخلو من تأثر أصحابها بالمذاهب الفقهية.

الثانية: أما المذاهب الفقهية كلها لا يمكن الاستغناء عليها لأنها علم من علوم الدين خاصة كتب التفسير للفقهاء من أهل السنة وهذا يقتضي من اللجنة التفريق بين المذاهب الفقهية والغلبة بين من غلب على صاحبه الهوى المذهبي وبين من كان معتدلا.

وهذا يذكرني بدعوة القائلين حديثا باسلام بلا مذاهب وهي وجهة في ظاهرها الرحمة وفي باطنها الانزلاق لأنه ان ابتعدنا عن انتمائنا للسلف الصالح وعن منابع علومهم ومعارفهم وقضاياهم، ورؤيتهم الصائبة حصل لنا انبثات وترك للتجذر وربط الحاضر بالماضي.

أما بقية المقترحات فهي وجيهة وخاصة الخاصية الثامنة لأن فيها الإشارة الى التفسير الموضوعي الذي هو خاصية كانت مخبوءة في الماضي رغم تناولها من طرف الباحثين في علوم القرآن (26) ثم ظهرت على بساط البحث والتناول من جديد.

وهذا العمل الذي اثارته اللجنة المنبثقة عن جامع الأزهر، للتفسير هو نفس ما أشار إليه أخيرا الدكتور محمد الدسوقي في بحثه بعنوان «منهج في تفسير القرآن الكريم» وافرد له عنصرا خاصا سماه «العمل الجماعي» (27) مباركا هذا اللون من التفسير وذلك بقوله: «هذا العمل الذي يخضع لضوابط منهجية صارمة حماية للقرآن من التأويلات المذهبية أو السياسية أو الزج به في النظريات العلمية التي لا تثبت على حال ومحاولة لتجلية هدايات القرآن وأهدافه العليا في صياغة الحياة الانسانية صياغة ربانية، تعاون علمي يباركه الاسلام بل يحض عليه وينزله منزلة الفريضة» (28) وكأني بالدكتور محمد الدسوقي يبارك ما أشارت اليه لجنة تفسير القرآن

(26) انظر اطروحتي: التفسير الاشاري للقرآن الكريم ج 1/ 168 - 173 مرقونة بمكتبة الجامعة.

(27) د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي 240 ذو الحجة 1404: 24 - 28

(28) المرجع السابق: 29

الكريم الا انه متخوف من التأثر بالأهواء السياسية أو المذهبية واعتبارا لما يحد من اختلاف وصراعات بين الشعوب الإسلامية (29)

وبهذا الاعتبار فان التفسير الجماعي والدعوة اليه مسألة شبيهة بالطب الجماعي في العصر الحديث، فان عز تناوله في محيط الامة الإسلامية مجتمعة، فانه لا مندوحة من تناوله على الأقل في محيط أي بلد مسلم، له علماء ومفسروه، كخطوة أولية نحو العمل التفسيري الجماعي في الأمة الإسلامية فيما بعد. ولا تفوتني الإشارة في هذا الصدد الى أن مسألة التفسير الموضوعي التي وقع الالتفات اليها وإعادة النظر فيها من جديد لما يخفف عناء المفسر الواحد ولا يوقف العمل التفسيري إذا لم تنبثق لجنة للتفسير وقد اهتدى لهذه الظاهرة - ظاهرة التفسير الموضوعي للسورة الواحدة - الدكتور محمد البهي (30) هذا العمل الجماعي وهذا العمل القرآني يحتم الوقوف على مبادئ ثابتة إذا وجدت أمن الفرد بصفة خاصة وامنت الجماعة مغبة الوقوع في الخطأ والتأويل لكلام الله تعالى.

وقد ذكر الدكتور محمد الدسوقي عشر مبادئ لمنهج جديد في التفسير رجزها فيما يلي:

أولاً: التجرد من الأهواء الفكرية والشخصية.

ثانياً: الايمان بمنهج القرآن في معالجة أمراض المجتمع الانساني باعتبار أن القرآن كتاب هداية للناس يهديهم الى صراط الله المستقيم وهذا يقتضي من المفسر أن يكون ذا خبرة بالنفس الانسانية

ثالثاً: الحرص البليغ على تجلية أصول القرآن ووسائل تطبيقها في حياة الناس

رابعاً: التمكن من اللغة العربية متنا وقاعدة وأسلوباً وبياناً.

خامساً: انتهاز مسلك التفسير الموضوعي باعتباره منهجاً سديداً في فهم القرآن «فالذهاب الى العمل التفسيري لا يكون كامل الدقة الا اذا جمعت الآيات المتعلقة بموضوع واحد وفق ترتيبها في النزول والى جانبها السنة والآثار التي تعرضت لهذا الموضوع (31)

(29) د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي ع 240 ذو الحجة 1404

(30) د. محمد البهي: التفسير الموضوعي: تفسير سورة المؤمنون

(31) د. محمد البهي: مجلة الوعي الاسلامي ع 233 جمادى الأولى 1404، 17

سادسا: على المفسر ان لا يشرح الآية شرحا يتعارض مع آية أخرى فأيات القرآن كلها متعاونة ومتكاملة في تقرير الاحكام.

سابعا: ان يلم المفسر اولا بتفسير الرسول ﷺ لأنه يبين عن ربه ويرتبط بدراسة السنة الاطلاع على حياة الصحابة الذين عاينوا التنزيل وعرفوا مناسبات الكثير من الآيات.

ثامنا: ان لا نحكم على تراث الاجيال الماضية بمفاهيم وموازين عصرنا وهذا يقتضي عدم اتهام القدامى بما لا يليق ان ينسب اليهم، كما لا ينبغي ان نبذل القديم كله لأن أولى مراحل التجديد هي أشياء القديم بحثا وفهما خاصة إذا كان بعيدا عن الهوى المذهبي فلا يدفعنا الحرص على الجديد الى تشويه عطاء القدامى الذين أدوا واجبههم نحو كتاب الله.

تاسعا: ضرورة التعاون بين علماء التفسير باعتبار ان العمل التفسيري يحتاج الى دراسات متنوعة يتعلق بعضها باللغة وعلومها، ويتعلق بعضها الآخر بالعلوم التاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وكان العمل التفسيري الجماعي اهدى سبيلا من العمل الفردي. عاشرا: ينبغي ان يكون العمل التفسيري قوة محركة للعمل ودعوة صادقة للتطبيق؛ فالمفسر الذي يعيش القرآن سلوكا وعملا لا يعرف الكلل من أجل ان تعلو كلمة الله في الأرض» (32)

هذه المبادئ العشرة منها ما كان متعلقا بالخصائص الذاتية التي يتحتم وجودها لدى المفسر مثل المبدأين الأول والثاني فهناك توافق بين ما ذكر فيها وبين ما ذكرته من قبل اثناء تعرضي للخصائص الذاتية التي ينبغي توفرها في المفسر.

ومنها ما يتعلق بالمنهج التفسيري مثل المبدأ الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع.

ومنها ما كان متعلقا بالهدف مثل المبدأين الثالث والعاشر كما دعا الدكتور محمد الدسوقي في مبادئه العشرة الى مبدئين هما وليدا العصر الحديث.

المبدأ الأول: التفسير الموضوعي وقد أشار اليه في الخاصية الخامسة» (33)

(32) د. محمد الدسوقي مجلة الوعي الاسلامي ع 233 جمادى الأولى 1404: 15

(33) د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي ع 233 جمادى الأولى 1404/17

المبدأ الثاني: الدعوة الى التفسير الجماعي وقد أشار اليه في الخاصية التاسعة (34)

والذي نخلص القول اليه من خلال هذه المبادئ العشرة انها جاءت توفيقية تجمع بين منهج القدماء ومنهج المحدثين لا تغطم مقولات القدماء في التفسير لانهم أخلصوا في عملهم لذات الله، ولا ترد معطيات المحدثين فيما لا منافاة فيه مع الآيات القرآنية والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح، وهو ما صرح بالمراد به الدكتور محمد الدسوقي بقوله: «انه منهج جديد يواكب احداث الحياة وظروف العصر وفي الوقت نفسه لا يجافي التراث، أو يشيح بوجهه عنه» (35)

أما الدكتور أحمد علي المجدوب فيرى ان المفسرين القدماء كانوا إمّا نحويين أو متكلمين أو فقهاء، أو اخباريين فغلب على تفاسيرهم هذا العلم أو ذاك وأهمل ما عداه» (36) وهذا مردود من جوانب ثلاثة الجانب الأول: ما كان كل القدماء كما تصورهم الدكتور أحمد علي المجدوب والخطأ كما يقال في التعميم.

الجانب الثاني: انه لا يمكن ان تطلب من المتضلع في الجانب اللغوي أو التاريخي أو الفقهي ان لا يستخدم استفاداته تلك، وينظر من خلالها الى التفسير فيفيد ويستفيد.

الجانب الثالث: انه إذا وجدت علوم حديثة ما كانت موجودة في عهد المفسرين القدماء فلا نؤاخذهم اليوم بعدم استخدامها. فاستخدامنا لها الآن يكون مبررا لاستخدامهم للعلوم التي برعوا فيها في عهدهم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن نحذر تسليط النظرة الحديثة على تفسير القدماء إذ في ذلك غمط لحقهم وقصور منا عن ادراك ما قصدوا، والذي نخلص اليه أنه مهما كان لون تفاسير القدماء إذا ما بعده عن التأويل المذهبي وعن الهوى فانها لا ترد باعتبار كونها تمثل مرحلة من مراحل العمل التفسيري لا يمكن الاستغناء عنها، إذ لولا تلك المناهج لما وصلنا الآن الى المنهج الجديد الذي تراءى للمفسرين المحدثين وبهذا الصدد تثار مسألة اختلف فيها المفسرون

(34) المرجع السابق: 19

(35) المرجع السابق: 19

(36) أحمد علي المجدوب: مجلة الوعي الاسلامي 245 جمادى الاولى 1405: 15

الى منهجين وهي هل التفسير من قبيل التصورات أو من قبيل التصديقات؟ فذهب بعضهم الى أنه من قبيل التصورات، لأن المقصود منه تصور معاني الفاظ القرآن.

وذهب آخرون الى أن التفسير من قبيل التصديقات، لأنه يتضمن الحكم على الالفاظ بأنها مفيدة لهذه المعاني، وعلى هذا يكون التفسير عبارة عن مسائل جزئية (37) وللإمام محمد الطاهر ابن عاشور اجابة توفيقية حصر فيها طرائق المفسرين الى ثلاث طرق ورجح منها طريقة على أخرى فلم يتركنا كما تركنا الدكتور حسين الذهبي في كتابه «التفسير والمفسرون» أمام منهجين لكل واحد رواده دون ان يرجح رأيا على آخر.

يقول الامام محمد الطاهر ابن عاشور: فطرائق المفسرين للقرآن ثلاثة: 1) أما الاختصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه واضاحه.

2) وأما استنباط معان. من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يُجَافِيهَا الاستعمال ولا مقصد القرآن.

3) وأما ان يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى» (38). فقد أشار رحمه الله إلى مسألة التفسير هل هو من قبيل التصورات بقوله: «وأما استنباط معان من وراء الظاهر. وأشار الى مسألة التفسير من قبيل التصديقات بقوله: «وأما الاختصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب».

وقد رجح الطريقة الأولى القائلة بأن التفسير ليس من قبيل التصورات وانه من قبيل التصديقات بدليل قوله «وهذا هو الأصل» (39) فالمفسر ينبغي عليه الجمع بين الظاهر والباطن حتى لا يكون حشويا ولا باطنيا

يقول الامام الغزالي في هذا المعنى: «فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل» (40) كما ينبغي على المفسر ان يجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي لكن لا يقدم المعنى المجازي وانما العكس يقول الزرقاني «فلا يلتجئ الى المعنى المجازي قبل المعنى

(37) د. حسين الذهبي: التفسير والمفسرون 31/1

(38) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1/ك 42/1

(39) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1/ك 42/1

(40) أحمد الشرباصي: قصة التفسير: 138

الحقيقي الا إذا تعذر عليه ادراك ذلك» (41).

IV التجربة التفسيرية بالفصل

هناك فروق من حيث المنهج بين التفسير كعملية اعدادية خارج الفصل، وبين العمل التفسيري كعملية أخذ وعطاء وتقديم للطلاب، فليس كل ما يعبه المفسر يقدمه، وليس ما يقدمه يكون مجرداً عن أرضية الحوار والتفاعل مع مختلف استخدامات الطلاب وتأهيلاتهم.

فمن ضرورات العمل التفسيري بالفصل اعتبار الجوانب التالية:

1 - الوقوف على أسباب النزول

2 - البحث في مفردات القرآن بحثاً لغوياً وربط ذلك بالوقوف على خصائص التركيب القرآني باعتبار أن اللغة خادمة للقرآن وموصلة الى ادراك اسراره، ومعينة عليه؛ فلا ينبغي تطويع اللفظ القرآني الى اللغة والصحيح العكس، وذلك باستخدام الاستعمالات القرآنية في التفسير.

3 - اعادة النظر في آراء المفسرين بالمأثور والمفسرين بالرأي بتخير أوفقها (42) ما دام له شاهد في القرآن أو في السنة، أو ادراك المقاصد من القرآن الكريم، هذا وقد دعا الامام محمد الطاهر ابن عاشور الى عدم التوقف أمام التفسير بالمأثور بصريح قوله: «أما الذين جمدوا على القول بأن التفسير القرآن يجب أن لا يعدو ما هو مأثور فهم رموا هذه الكلمة على عواهنها ولم يضبطوا مرادهم من المأثور عن مؤثر» (43)

4 - تطبيق الأصول العامة التي لا اختلاف عليها في كتاب الله دون الزج بالقرآن في نصرة مذهب أو رأي أو نظرية علمية (44)

5 - السير في العمل التفسيري من:

1 - المعلوم الى المجهول

2 - من القريب الى البعيد

3 - من البسيط الى المركب

4 - من الخاص الى العام

(41) عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان ج. 1/ 502

(42) مجلة الاسلام: الجمعة 25 شوال 1355 هـ/ 44 (من تقرير لجنة تفسير القرآن الكريم).
(بتصرف واختصار)

(43) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك 32/ 1

(44) د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي ع 240 ذو الحجة 1404/ 27

5 - من المحسوس الى المعقول

6 - من المجلد الى المفصل (45)

وللإمام محمد الطاهر ابن عاشور رأي في التركيب القرآني المحتمل معنيين فصاعدا وذلك في قوله: «ان معاني التركيب المحتمل معنيين فصاعدا قد يكون بينهما العموم والخصوص، فهذا النوع لا تردد في التركيب على جميع ما يحتمله ما لم يكن عن بعض تلك المحامل صارف لفظي أو معنوي» (46) ويقصد بذلك ان لا يكون للفظ المشترك معارض لفظي، أو تعارض مع مقصد من مقاصد آي القرآن.

6 - مراعاة المقام فلا يقف المفسر عند مواقع الفاظ الآية. وانما ينظر الى مقتضياتها باعتبار المقامات التي نزلت فيها الآية (47).

وللأستاذ «عبد القادر الشيخ إدريس» مسلك عملي لتدريس القرآن الكريم مع الطلاب مباشرة أوجزه فيما يلي:
أن يقدم المفسر عمله التفسيري

1 - بتلاوة الجزء المقرر تفسيره مع الترتيل وهو أحد المعاني المقصودة من قوله تعالى ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ المزمّل: 4 حتى يحصل التأثير والخشوع.

2 - ذكر أسباب النزول إن كان للآية سبب نزول

3 - توجيه اسئلة يختبر فيها المفسر الطلبة بمعالم الاطار العام للآيات ليحاولوا الفهم من تلقاء أنفسهم وليبذلوا جهدا ذاتيا في الوصول الى المعاني من قبل ان تلقى عليهم بصفة أوسع وأشمل.

4 - مرحلة تحليل النص القرآني وبيان أغراضه، والافكار التي اشتمل عليها؛ هذه المرحلة لا بد أن تسبق بمراجعة الجزء المقرر قبل التدريس المباشر في كتب التفسير وكتب المعاجم.

5 - العناية بالوسائل التوضيحية من سمعية وبصرية

6 - مرحلة اختبار استيعاب الطلبة أو الطالبات لمتعلقات النص وذلك

أ - أما باسئلة تلقى عليهم

(45) عبد القادر الشيخ إدريس: مجلة منار الاسلام ع 9 س 128/5

(46) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك 1/96

(47) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك 1/111

ب - أو بتكليفهم التعبير عما جاء في الآيات بأسلوبهم ولغتهم بألفاظ من عندهم تقابل الألفاظ التي وردت في الآيات من غير زيادة أو إطناب مع اعتبار الفروق الفردية بين الطلبة والطالبات.

7 - مرحلة الوقوف على الفكرة الأساسية التي يتضمنها النص القرآني وهذا يقتضي من المفسر تقدير أفكار الطلاب بمقدار اقترابهم من المعنى الأساسي للآية، أو الآيات، حتى ينغرس في نفوس الطلاب ان القرآن هو الكتاب المعجز الذي احدث أكبر انقلاب في تاريخ البشر.

8 - ان ينتقل بالطلاب ومعهم الى مرحلة الاستنباط والربط وذلك باستنتاج ما اشتملت عليه الآيات من أحكام وآداب، والربط بينها وبين ما في معناها من الأحاديث الشريفة أو الاخبار أو القصص التي تحضره، وذلك بربط الاحكام الواردة في الآيات، ويطابقها بما في الحياة الاجتماعية، ويبين أثر اتباعها، أو تركها، في صلاح المجتمع أو فساده (48) لكن هذه المراحل التي ذكرها الأستاذ «عبد القادر الشيخ ادريس» تتناسب أكثر مع مرحلة التعليم الثانوي، أكثر من تناسبها مع التعليم الجامعي، بدليل تعرضه الى ذكر الاستنتاجات واثبات ملخص سبوري موجز (49)

ولتحقيق ما تقدم ذكره عرض الأستاذ «عبد القادر الشيخ» طريقتين تتمثل الأولى في:

1 - السير من المعلوم الى المجهول

2 - السير من القريب الى البعيد

3 - السير من البسيط الى المركب

4 - السير من الخاص الى العام

5 - السير من المحسوس الى المعقول

6 - السير من المجلد الى المفصل

وقد سبقت الإشارة إليها وانما اثبتنا هنا للمقارنة.

الطريقة الثانية وتتمثل في:

1 - ان يشعر المفسر طلابه بوجود مشكلة

2 - معرفة موضوع الصعوبة في المشكلة وتحديدها

(48) عبد القادر الشيخ ادريس: مجلة منار الاسلام ع 9 س 134/5، 135

(49) المرجع السابق: 136

3 - الايحاء أو الإشارة الى الحل الممكن للمشكلة

4 - ممارسة التفكير في حلها.

5 - فرض الفروض التي بها يمكن التغلب على صعوبة المشكلة

6 - الملاحظة والتجربة لترجيح أحد الفروض والتأكد من صحة وخطا

غيره (50)

وهذا ما يؤكد ان الطريقتين تتناسبان مع التعليم الثانوي أكثر من تلاؤمهما مع التعليم الجامعي. وقد شعر الأستاذ عبد القادر الشيخ بهذا المنهج المتقاصر عن التعليم الجامعي فرجح انتهاج مسلك توفيق بين الطريقتين وذلك بقوله: «والدرس الناجح يستطيع ان يجمع بين الطريقتين في دقة ومهارة ويفيد منهما في تحضيره وتفسيره وأدائه وفي هذا تحرر من التقيد بطريقة واحدة» (51)

ومهما اجتهد المدرس في التوفيق فان ما بسط القول فيه الأستاذ «عبد القادر الشيخ» هو منهج أدبي، والمنهج الأدبي يختلف عن المنهج العلمي. كما انه منهج مرحلي يعتمد التجزئة وهو لا يتلاءم مع منهج المحاضرة اللهم الا إذا تغير المنهج الجامعي من المحاضرة الى المحاور والاستنتاج وكتابة ذلك على السبورة.

كما ان هذا المنهج يخاطب ذهنية محدودة معينة غير متخصصة أما إذا وجد التخصص وحسن مستوى ذهنية المخاطبين، فان هذا المنهج يتقاصر أمام ذهنية ارفع ومستوى ابعد، وخاصة ما جاء متعلقا بالطريقة الثانية، أما مسألة قراءة الجزء المقرر في بداية العمل التفسيري فلا بأس بها ولو مع التعليم الجامعي حتى يحصل التأثير والخشوع. قال ابن قيم الجوزية: «فإذا حصل المؤثر وهو القرآن والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الاصفاء، وانتفى المانع، وهو انشغال القلب وزهوله عن معنى الخطاب وانصرف عنه الى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر» (52)

V الهدف من تفسير القرآن الكريم

يهدف المفسر المحيط بمستلزمات العمل التفسيري من حيث المعرفة والمنهج الى غايات ومقاصد منها:

(50) عبد القادر الشيخ ادريس: منار الاسلام ع 9 ص 128/5 - 129

(51) عبد القادر الشيخ ادريس: منار الاسلام ع 9 ص 128/5، 129

(52) ابن قيم الجوزية: الفوائد 3

- 1 - اطلاع الدارسين والطلبة على المصدر الأول من مصادر التشريع الاسلامي. قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُذُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ البقرة: 187
- 2 - تكوين العقيدة الاسلامية الصحيحة وتركيز الايمان وذلك بازالة الشك ودوافع العصيان، وهو ما عبّر عنه الامام محمد الطاهر ابن عاشور باصلاح الاعتقاد (53)
- 3 - التأدب بأداب القرآن فيكون القرآن سلوكا عمليا معاشا (54) وهو ما أشار اليه الامام محمد الطاهر ابن عاشور بتهذيب الاخلاق» (55)
- 4 - الدعوة الى العمل الصالح الجاد المستمر، فالغاية الأولى من نزول القرآن هي اخراج البشرية من عبادة الناس والشهوات الى عبادة الله الواحد الأحد» (56)
- 5 - العمل على ان تكون كلمة الله هي العليا
- 6 - الجمع بين مخاطبة الفكر والفؤاد والربط بين مخاطبة العقل والضمير
- 7 - العمل على اثارة الذهن والشعور (57)
- 8 - ابراز الاحكام الشرعية ومطابقتها في الحياة الاجتماعية وهو ما دل عليه الامام محمد الطاهر ابن عاشور بـ (التشريع) (58)
- 9 - التركيز على أن: القرآن هو الكتاب المعجز الذي أحدث أكبر انقلاب في تاريخ البشر (59)، ليكون دلالة على صدق الرسول ﷺ. وقد أشار الى هذا الامام محمد الطاهر ابن عاشور بقوله: «الاعجاز بالقرآن» (60).
- 10 - سياسة الأمة (61) وتدبر أحوالها بالعدل والشورى والحكمة
- 11 - الوعظ والانذار والتحذير والتبشير (62).
- 12 - السير في حياتنا الاجتماعية والاسرية على المنهج الذي يرتضيه الشرع الحكيم، مما يترتب عنه السعادة الفردية والظفر بالنعيم المقيم في

§3 الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك1 / 39 - 41
 §4 عبد القادر الشيخ ادريس منار الاسلام عدد 9 س 5 / 131
 §5 و §6 الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك1 / 39 - 41
 §7 د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي ع 233 جمادى الأولى 1404 / 19
 §8 الامام محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك1 / 39 - 41
 §9 عبد القادر الشيخ ادريس: مجلة منار الاسلام ع 9 / 5 / 136
 §60 الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك1 / 39 - 41
 §61 و §62 المصدر السابق 39 - 41

الحياة الآخرة (63).

13 - الحرص على تبيان المبادئ والأحكام الواردة بالقرآن وعدم الزج به في استنباط العلوم الكونية، أو اقرار النظريات المتجددة لان في اتباع ذلك بصفة مطلقة خروجاً به عن غايته ورسالته المتمثلة في الهداية الى ما هو اقوم.

14 - أن يكون العمل التفسيري قوة محرّكة للعمل، ودعوة صادقة للتطبيق، وليس مجرد معلومات جافة لا تعرف طريقها الى الحياة الواقعية (64)

هذا قليل من كثير لأن اهداف التفسير تعمل على الوقوف على اهداف القرآن، وأهداف القرآن لا نحيط بجميعها خبراً. أما الامام محمد الطاهر ابن عاشور فانه حصر الاهداف التي جاء القرآن لتبيانها في ثمانية مقاصد:

الأول: اصلاح الاعتقاد قال تعالى ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (هود: 01)
الثاني: تهذيب الاخلاق قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (ن: 4).

الثالث: التشريع: وهو الاحكام الخاصة والعامة قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء: 105)
الرابع: سياسة الامة وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الامة وحفظ نظامها كالارشاد الى الاعتصام بحبل الله بقوله تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: 103)

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: 3)

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين وما يؤهلهم الى تلقي الشريعة ونشرها وذلك كعلم الشرائع، وعلم الاخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب. وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان

63 عبد القادر الشيخ ادريس: منار الاسلام 9 س 5 رمضان 1400 هـ / 131

64 د. محمد الدسوقي: مجلة الوعي الاسلامي ع 233 / 16 - 19

العقول وصحة الاستدلال ثم نوه جل شأنه بشأن الحكمة فقال: ﴿يُوتِي
الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
(البقرة: 269)

السابع: المواعظ والالذار والتحذير والتبشير.

الثامن: الاعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ إذ
التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، قال تعالى: ﴿قُلْ فَاتُوا
بِسُورَةِ مِثْلِهِ﴾ (يونس: 38) ففرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما
يقصده من مراد الله تعالى في كتابه باتم بيان يحتمله، ولا يأباه اللفظ»
(65) فالمطلوب من المفسر لكتاب الله هو مراعاته لهذه المقاصد والسعي
لتحقيقها، وتبصير الباحثين والدارسين والطلاب إليها، حتى يتحقق المراد
من بعض ما يريده الله لنا، فنسعد بالظفر بالصراط المستقيم ﴿صِرَاطَ اللَّهِ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾
(الشورى: 53) صدق الله العظيم.

الدكتور صالح داسي

(65) الامام محمد الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير ج 1 ك 1 / 41 (بتصرف قليل واختصار)